

463- عن "القرار" ودعمه، بين الإرادة والمعلومات 1-3

تعتة

الاسم شديد الإبهار، واعد، محكم "مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار"، والجهة التي يتبعها هي أعلى جهة تنفيذية في وطننا الطيب في محنته الجارية، هذه المعلومة (أن أعرف أن ثم مركزا يدعم قرارات مجلس الوزراء) أبهجتني: أصبحنا بلدا متحضرا (ولعلنا كنا كذلك دائما!! من يدري؟)، لا نتخذ قرارا إلا بناء على معلومات "كافية" "مادقة" "منضبطة"، ثم ها نحن نستعين بمن يجب أن نستعين بهم والحمد لله.

حين دعيت إلى لقاء تليفزيون تديره مقدمة ملتزمة مهذبة، لمناقشة بعض جهد هذا المركز الهام، وهو تقرير "مسح القيم العالمية في مصر 2008"، طلبت نسخة من التقرير ففضل المسئولون مشكورين بإرساله، وهو مكون من 35 صفحة، في كل صفحة شريحتان مجموع 69، متضمناً معلومات واضحة، وإن كانت غير كافية، وهذه هي طبيعة أي موجز، وأيضا من صفات الأبحاث الملتزمة بمنطقة بحثها.

ولأنني لم أبدأ أبدا (ولا أريد أن أبدأ) من مرض التفاؤل المزمّن الذي أعاني منه، قلت "هذا هو!!"، رافضا أي تشكيك أو تهوين. رحت أمّر على الـ 69 شريحة وأتابع العناوين الرائعة، والمقارنات الصادمة، وأنا أصفق - بعقلي - يدا بيداء، نقرأ أول سطر في الموجز عن الهدف من البحث:

" التعرف بأسلوب علمي على منظومة القيم التي تحكم الشعب المصري، وتشكل وجدانه ومقارنتها بالمجتمعات الأخرى".

أى والله، ما أروع كل ذلك بإذن الله وفضل العلم، يا للطموح!! سوف نتعرف ليس فقط على منظومة القيم التي تسود أغلب فئات الشعب المصري، أو القيم الغالبة في قطاع محدد، من الشعب المصري، وإنما سوف نتعرف على منظومة القيم التي تحكم (لاحظ كلمة "تحكم") الشعب المصري، طيب لا مانع، تحكم على راحتها، لكنها أيضا "تشكل وجدانه!!"، وليست تؤثر على وجدانه، ولا حتى توجه وجدانه، أيضا لا مانع، كله خير، ثم سوف يقوم البحث بمقارنتها بالمجتمعات الأخرى، (المقارنة دائما مطلوبة، إن كانت ممكنة، وهي في تقديري غير ممكنة عادة، خصوصا فيما أمارس من أبحاث).

رحت أعداد الدول التي تم تطبيق هذا المسح بها خلال الدورة الأخيرة للبحث فوجدتها تكاد تشمل كل العالم، من أوروبا حتى استراليا، ومن دول آسيوية، إلى أمريكا الجنوبية مروراً بأفريقيا.. إلخ

تصفحت كل هذا "وحصل لي ما حصل"، وأنا ذاهب إلى اللقاء، حين ذهبت للمناقشة فوجئت بقدر ما فرحت أن المشاركين معي هما اثنان فقط، أحدهما هو رئيس المركز والمسئول عن هذا التقرير (أ.د. ماجد عثمان)، لم أتعرف عليه من أول وهلة، لكنه تفضل بتذكري برسالة دكتوراة كنت أشرف عليها من عشرين عاماً، وكنا نستعين به في معاملة النتائج إحصائياً!! يا خير يا ماجد، كيف كبرت وشاب شعرك وأطلقت لحيه جميلة هكذا؟ نعم أنا أعرف هذا الشاب، (كان شاباً) وأعترف أنني تتلمذت عليه آنذاك، وقد كنت تلميذاً خائباً، لعلاقتي الضعيفة بالأرقام والتعميم والإحصاء، حاولت أن أربط بين معرفتي به عالماً أميناً نبيلاً متقناً، وبين ما قرأته في البحث فلم أستطع، فرحت بلقائه، وعابثته، ودعوت الله أن يمر اللقاء بسلام - ليس على حساب الحقيقة والخناق- وطمأنني إلى احتمال السلامة أن ثالث المناقشين كان عزيزاً آخر (شاب أيضاً بحكم فارق السن) هو رئيس تحرير مجلة وجهات نظر (أ. أمين الصياد)، وأنا أعرف ما له من رؤية ناقدة، وموقف موضوعي، وجهد مثابر.

نكتفي اليوم بعنوان المركز قبل أن ندخل في البحث (ندع محتواه الآن جانباً).

1- "اتخاذ القرار": هو أن تعمل إرادتك للاختيار بين البدائل!!! (لأنه إذا لم يكن ثَمَّ بدائل، فنحن لا نحتاج للإرادة، ولن نحتاج لاتخاذ أى قرار أصلاً!! هل عندنا فعلاً بدائل؟؟؟!!).

2- "القرار": ما هو تعريف "القرار، والقرارات"، وما الفرق بينها وبين "التوجيهات"؟

3- "دعم": يا ترى هو دعم للقرارات التي اتُّخذت؟ أم دعم "عملية اتخاذ القرار" نفسها أثناء اتخاذها؟

4- "المعلومات": كم؟ وكيف؟ ومن أين؟ وما هي حقيقة الاعتداد بها؟

5- "مجلس الوزراء (المصري!)": هل هو كيان سياسي، أم مجموعة مختصين، أم ثلة مخلصين لبعضهم البعض، وربما للناس؟ (ما المانع؟) وهل هم يفرقون بين العمل السياسي، والتخصص العلمي؟

رجعت إلى مراجعي واجتهاداتي في تعريف كل من "الإرادة"، و"القرار"، و"المعلومات"، وأخذت أقلب صفحات البحث وأنا أراجع أيضاً معلوماتي المتواضعة عن الأبحاث المشحية، والعينة المثلية، وصعوبة المقارنات، وخطورة التعميم .

وغمرتني حسرة بالغة، مع محاولة التماس كل العذر لكل من اجتهد ، أصاب أم أخطأ .

ولا حول ولا قوة إلا بالله

وللحديث بقية